

# مُعْجِزَةٌ تَبْحَثُ عَنْ

## مُعْجِزَةُ بِرِّزَةِ

خلود الرفاعي

2015



# \* مُعْجِزَةٌ تَبْحَثُ عَنْ مُعْجِزَةٍ \*

خلود الرفاعي

2015

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الإهداء

\* إلى الروح أخي الطاهرة الذي كان الأمل يرافقه في دروب حياته ، حتى وهو

يجود بأنفاسه الأخيرة \*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❁ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❁ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❁ مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ ❁  
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❁ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ❁ صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ❁

صدق الله العلي العظيم

# مقدمة

الحياة ليست مجرد رواية، لكّتي كلّ ما حاولت فعله في هذا الكتاب هو  
اني اخترت شريحة ما من المجتمع لأمثلها هنا، ولنرى بأنّ الحياة :  
(ليست جميلة دائماً وليست عادلة دائماً)..

فقد يكون الإنسان الضعيف والعاجز هو هدية الربّ لنا لنعلم بأنّ الحياة  
(ليست قاسية دائماً وليست ظالمة دائماً)..

فالحياة هي الحياة ..

...

- ولأني مدركته بأن المعجزات تحدث فقط عندما تؤمن بها.

خلود الرفاعي





## \*مُعْجِزَةٌ تَبْحَثُ عَنْ مُعْجِزَةٍ\*

في منزلها القابع في وسط العاصمة اللبنانية، وعلى شرفتها (التي تطل على متجرٍ للألعاب)  
تَحْسِي قهوتها الصباحية كل يوم..

ترتدي ملابسها وتجلس على الأريكة، واضعة عكازها على يمينها وحقبتها على  
يسارها.. وتتظر..

فَيُطْرَقُ باب منزلها وتذهب.. لتعود عند الثامنة مساءً..

تغسل يديها وتغسل بياضها وتغسل بياضها وتغسل بياضها وتغسل بياضها وتغسل بياضها  
وتغسل بياضها وتغسل بياضها وتغسل بياضها وتغسل بياضها وتغسل بياضها

- هكذا تفضي السيدة ميساء يومها.

## إلى المكتبة ..

وكما هو الحال في كل يوم وفي الساعة السابعة صباحاً تستيقظ السيدة ميساء، تحضر قهوتها وتضعها على حافة الشرفة لتقوم بتشغيل الراديو، وعلى أنغام فيروزية تبدأ يومها ..

تنتهي من القهوة لتبدل ملابسها، وتجلس على الأريكة منتظرة قدوم أحدهم ..  
فيطرق باب منزلها، لتفتح ..  
ترحب بـ "هلال" ...

وبابتسامة كبيرة تمسك بيده وتغادر المنزل .

- "هلال" شاب يدرس في كلية الآداب في الجامعة الأمريكية في بيروت،

كانت والدته صديقة مقربة لميساء ..

حينها كانت ميساء تعاني من ضعف في النظر، وازداد الضعف بعد وفاة والدته هلال التي

كانت رفيقة أسرار ميساء . .

وحين فقدت ميساء النظر، وقف هلال إلى جانبها . .

فقد كانت بمثابة والدته له .

حيث أنه عمل معها في المكتبة الخاصة بها، كساعدها في العطلات والفترات التي يكون بها خارج الجامعة .

وكان له دائما أن يرافقها إلى المكتبة عند الساعة الثامنة صباحا، ومن ثم يوجهه إلى جامعته ليعود عند الخامسة .

فاليوم هو يوم الأحد، لذلك كان باستطاعة هلال البقاء في المكتبة طيلة اليوم ليساعد ميساء .

وفور مغادرتهما المنزل طلبت ميساء أن يدخلها متجر الألعاب المقابل لمنزلها، وهناك طلبت من هلال أن يحضر لها مجموعة من الألعاب . .

ومن ثم أدخلها سيارته متجهين إلى المكتبة .

## في المكتبة . .

وعند وصولهما إلى باب المكتبة فتح هلال الباب وأخذ بيد ميساء وأجلسها على كرسيها، ثم حضر الفطور في غرفة بداخل المكتبة قد سبق وبنَّها ميساء لقضائها معظم يومها في المكتبة .

تناولا فطورهما . . . ومن ثم بدأ هلال بتنظيف المكتبة وأخذ ينفذ الغبار عنها، وما أن أصبحت الساعة التاسعة، حتى بدأ رواد المكتبة بالحضور "إما للدراسة أو للمطالعة" ومنهم زوار يشتركون الكلب ويرحلون .

كانت الساعة الحادية عشرة صباحًا عندما جاء أحدهم وسأل:

هل حضرتك السيدة ميساء؟

أجابت: أنا هي، تفضل . .

قال: عليك أن توقعي هنا وتسلمي هذه الرسالة .

فنادت: هلال، تعال ..

فسأل هلال: تفضل!

أجاب الساعي: على السيدة أن توقع هنا وتستلم الرسالة ..

هلال: حسناً أنا سأستلمها، هل أوقع هنا؟!

- نعم.

اعتلى وجه ميساء ملامح الدهشة ورغبة بمعرفة مُرسل هذه الرسالة ..

قالت بتعجب: من يا هلال؟!

أجاب هلال مستغرباً: يبدو أن الرسالة من باريس، ومكتوبٌ هنا أنها من الطبيب

(البير) ..

ابتسمت ميساء متلهفة لمعرفة مضمون الرسالة.

# الرسالة..

طلبت ميساء من هلال قراءة الرسالة لها..

هلال:

تقول الرسالة:

"صديقتي ميساء..."

أكبر وكلّي رغبة بمعرفة أخبارك..

لقد مرّت سنة على لقائي بك، كما أنني لا أعرف سبب انقطاعك عني وخاصةً بأنك سبق ووعدتني بأنك ستواصلين معي فور وصولك إلى بيروت، ولربما لو لم أرى أختك الصغرى "منى" في المستشفى بصحبة الطبيب "باتريك" (بعد عودتهما من أسبانيا لقضاء شهر عسلهما هناك) لما عرفت عنوانك...

أرجو أن تُخبريني عن صحتك حالما تصلك رسالتي ..

تحياتي: الطيب البير

خلود الرفاعي



## الرد ..

أحاط الصمت ميساء، وفجأة وضعت يدها على الطاولة التي أمامها، وأخذت تلمسها حتى وجدت الدرج، فتحت وأخرجت منه بضعة أوراق، ثم طلبت من هلال أن يحضر قلم ويجلس أمامها، وأن يكتب ما ستمليه عليه بالفرنسية..

ويدات تتكلم وهلال يكتب، والقراء مشغولون بما يقرأون.

## في باريس . .

في أحد مستشفيات العاصمة الفرنسية وفي قسم العيون يعمل الطبيب البيسر، الذي لا يجد الوقت الكافي للراحة، فما يمنه هو راحة مرضاه ومساعدتهم على احتضان الحياة مرة أخرى . .

وفي أحد الأيام أستيقظ الطبيب، أعد قهوته وخرج كما دته ليحضر الجريدة التي يقرأها صباح كل يوم . .

وعندما فتح صندوق البريد وجد ظرفي رسالة إلى جانب الجريدة . .

عاد بهم إلى البيت وجلس مقابل الطاولة التي سبق ووضع عليها قهوته، ساءت نفسه عن الطرفين ومصدرهما . .

ظرف الرسالة الأول كان من ميساء وكان بداخله عدة أوراق . .

فما كان له إلا أن فتحه، وشوق بدأ القراءة . .

## رسالة ميساء ..

"عززي ألبير..."

لقد وصلتني رسالتك، وفي الحقيقة شعرتُ بسعادة كبيرة لدى قراءتها، ففي المقابل أردتُ بشدة معرفة أخبارك ..

كما أنني أعلم بأنك مُستاء مني، وبأنني لم أفِ بوعدتي لك ولم أرسلك وأخبرك عن صحتي كما طلبت ..

ربما لأنني لم أرد أن تشعر بحزن لدى سماعك قراري، فمِنذ لحظة اقلاع الطائرة قررت أن أتترك كل شيء خلفي وأن أبدأ من جديد ..

## مُغَادِرَةُ الْمُسْتَشْفَى ..

فورَ مُغَادِرَتِي الْمُسْتَشْفَى وَعَدَ إِجْلَاحَ مَنِّي (لأنِّي لَزَلْتُ أَذْكَرُ مَلَامِحَ وَجْهِكَ ..

كَانَ الْغَضَبُ وَالْإِسْتِيَاءُ يَطْفِيئَانِ عَلَيَّهَا) قَرَّرْتُ أَنْ أُغَادِرَ بَارِيسَ، سَأَلْتَنِي حَيْثُهَا عَنِ السَّبَبِ، لَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِخْبَارَكَ عَنِ السَّبَبِ الْحَقِيقِيِّ وَرَاءَ ذَلِكَ، لِأَنِّي قَرَّرْتُ أَنْ أَوْقِفَ الْعِلَاجَ آنَ ذَلِكَ وَأَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَوْطِنِي ..

حَيْثُهَا قَرَّرْتُ أَنْ أَرْضَى بِمَا كَتَبَهُ اللَّهُ لِي.

وَرَبَّمَا لَوْ أَخْبَرْتِكَ بِذَلِكَ لَمَنْعْتَنِي وَلَكِنِّي أَجْبَرْتَنِي عَلَى الْبَقَاءِ، لِذَلِكَ وَعَدْتُكَ بِأَنِّي سَأُكْمَلُ الْعِلَاجَ فِي بِيْرُوتَ وَسَأُرَاسِلُكَ وَأُرَوِّدُكَ بِكُلِّ التَّفَاصِيلِ حَالَمَا أَصِلُ، وَلَكِنِّي لَمْ أَفْعَلْ !.

لَمْ أَسْتَطِعْ يَا أَلْبِيرَ، فَلَقَدْ كُنْتُ مَتَأَكِّدَةً بِأَنَّهُ لَا جَدْوَى مِنَ الْعِلَاجِ، كَانَ كُلُّ مَا حَوْلِي يُشْعِرُنِي بِالْإِحْبَاطِ ! ..

صَرَخَ الْمَرَضَى وَالْمَوْتُ، وَمَنْ أَحَبَّ ..

فَطَرَاتِهِمْ ! تِلْكَ النُّظُرَاتُ الَّتِي لَا تَنْفِكُ عَنِّي جَعَلَنِي بِأَنْ أَشْفَقَ عَلَى نَفْسِي ! ! ! ..

فانت لا تعرف يا ابير معنى ان تكون محاصر بالمرضى ..

محاصر بشبح الموت .. محاصر بالعجز !! ..

كل هذا واكثر جعلني اتخذ ذلك القرار .

خلود الرفاعي

## في بيروت ..

كانت سارة في المطار لإستقبالي ..

أه يا ألبير ! .. تلك الفتاة كانت أخت بالنسبة لي ، لم تتركني لحظة ..

ولو انها لم تضطر لمغادرة باريس من أجل ابنتها هلال لما تركتني (فوالده شخص سيء ، أذكر بأنه قام برفع دعوى ضدها من أجل حضانة الطفل بعد أن تركته وسافرت ، لذلك كان عليها حضور الجلسة ..)

ربما لذلك أنت لا تعرف الكثير عنها ..

كما اني لم أذكر لك بأنني كنتُ أشعر بفراغ قاتل بغيابها عندما كنتُ في باريس ،

فأنت تعلم بأنه لم يبق لي أحدٌ سواها ، خاصةً بعدما سافرت أختي إلى كندا عقب وفاة والدي في الحرب ..

وفي الحقيقة لم أرد لها أن تعرف شيئاً عن مرضي ، كنتُ أريدها أن تركز على دراستها هناك ، لذلك كانت سارة هي كل ما تبقى لي ..

## الاستقرار..

وهناك قررت شراء بيتنا القديم "بيت العائلة" !..

وكم كان حظي جميل حينما قرأت لافتة تُشيد ببيعه..

مشاعر غريبة اعتلتني، فكلمنا في النهاية أسرى لذكرانا، نشأق إلى العائلة، إلى الطفولة،

إلى ما كنا عليه قبل أن ترسم الحياة طريق وخطى لتجبرنا على المضي بها..

وعندها اشتريته...

ولكنك لن تصدق، كنتُ أشعر بالحزن الشديد لدى تذكري تفاصيل قد سبق وشاركتها

مع عائلتي، كنتُ أسيرة للذكرى، وكنتُ أشعر بضيق كبير وخاصة في الليل..

لأعلم لم الليل يجعلنا دائما نحن إلى ما لا نستطيع إرجاعه، يجعلنا نبدو عاطفين أكثر!..

حسنا لا أدري لكنتي أذكر أنني عشتُ فترة اكتاب طويلة، ومع كل محاولات سارة لبيعه إلا

أنها فشلت في ذلك..

لم أستطع بيعه يا ألبير، كيف لي فعل ذلك ؟!

إنه يتنا !.

خلود الراقصي



عندما قررت العمل لأشغل نفسي ..

كان لسارة صديقة تعمل في دار للأيتام وكانت بحاجة لمساعدة في أوقاتٍ قد لا تكون هي في الدار ..

في الحقيقة "يرمين" (صاحبة الدار) امرأة لطيفة جداً كانت تحسن معاملتي ..

لكنها كانت مريضة، اتصدق !! كانت مريضة بالسرطان !! ..

أية صدقة هذه !! ..

كانت تتلقى العلاج، لذلك كانت مضطرة لأن تُلَازم منزلها في أغلب الأوقات ..

أرأيت !!

هذا ما كنت أتحدث عنه، لطالما أردت أن أكون حرة، أن أعمل، أن ألقى بالأصدقاء ..

أن أفعل ما يحلو لي ..

كيف لي ذلك لو أنني تلقيت العلاج؟!!

كيف لي أن أكون حرة؟!!

كنتُ سابقى أسيرة السرير... .

كنتُ سابقى أسيرة هذا المرض!!!

لذا قررت ما قررت... .

فأنا هكذا أسعد... . بكثير... .

حسناً... . قد تغضب حين تقرأ هذا، لكنني سعيدة الآن وأشعر بأنني فعلت الصواب.

## في الدار .

لقد نسيتُ أن أخبرك عن الأطفال هناك في "الدار" ، اعذرني فانا أنسى كثيراً هذه الأيام !

فنحنُ نتقدم في السن وهذه هي الضريبة !! ..

على أية حال ..

الأطفال هناك في غاية الجمال والبراءة ، فنحنُ نلعب سويةً ونرسم ونفعل كل شيء ..

ما أجمل الأطفال يا ألبير !! ..

وأثناء حديثي تذكرتُ حادثة حصلت !..

ذات مرة كنتُ ألعب مع الأطفال، وفجأة أصبحتُ رؤيتي للأشياء غير واضحة ولم أعد

أرى شيئاً بعدها، إلى أن استيقظتُ ووجدتُ نفسي في غرفة غريبة،

وسمعتُ صوتاً يقول:

حمداً لله على سلامتك..

وإذ بسارة، سألتها عن المكان وعن سبب وجودنا هنا!

فأخبرتني بأنها تلقت اتصالاً من السيدة "يرمين" سبق وأخبرتك عنها "صاحبة الدار"

وقالت لها بأنني وقعتُ أرضاً وبأنهم نقلوني إلى هذه المستشفى،

وبالطبع أخبروهم هناك بأنني أعاني من السرطان، لبتك رأيت وجوههم والدهشة التي

كانت تعليهم، كنتُ أنا وسارة الوحيدتان اللتان لم يتأثرا بالخبر..

وعند قدوم الطبيب قال بحضرة الجميع "وبعد ما اخبرته سارة بعلمي بمرضي":

ما حصل هو أن الورم الميلانيني في باطن العين بدأ يؤثر على رؤيتك، لذلك قمنا بفحص قعر

العين لنستطيع تحديد حجم الورم والمرحلة التي بلغها ..

- فسألته عن المرحلة التي وصل إليها ..

فأجاب:

إنه الآن في مرحلته "المتوسطة"، لكن إن لم تخضعي للعلاج سيتطور وقد يصل إلى مرحلة

"الإنتشار" ..

- تقصد (العلاج الكيميائي)؟!

- في الحقيقة تشتمل معالجة سرطان العين على ما يلي:

• الجراحة.

• المعالجة الإشعاعية.

• المعالجة الكيميائية.

• التَّخْيِيرُ الضَّوْنِي .

• المُعَالَجَةُ بِالتَّبْرِيدِ .

• المُعَالَجَةُ الحَرَارِيَّةُ .

وغالباً ما يجري استخدام مزيج من هذه المعالجات معاً .

وكانني لا أعلم !! ..

ربما ستغضب عقب سماعك هذا، لكنني شكرت الطبيب وعدت إلى المنزل، وكالعادة

حاولت سارة اقناعي بأن أخضع للعلاج، لكنني رفضت .

أنا سعيدة وحرّة الآن، لا أريد أن أخضع للعلاج ولا أريد أن أفنع نفسي بأني مريضة،

هذا المرض يا ألبير هو مجرد وسيلة فقط . . . فإن كنتُ سأموت، القدر وحده من يستطيع

تحديد تاريخ موتي وليس هذا المرض ! . . .

حسناً . . ماذا لو خضعتُ للعلاج وتوقفتني المنية عقب شفائي منه !

ماذا عن الأيام التي ذهبت سدى وأنا أعاني من ألم العلاج؟!

ماذا عن التعب والأرق والمعاناة؟!

فالسرطان يا أيليريس مجرد صداع يتناول حبة أسبيرين تُشفى منه!

السرطان "قدر" يلزمك فإنا أن يُنهيك وأما أن تنهيه!

إذا يتوجب علي الخوض في المعركة!!

لكني لا أريد الخوض فيها، أريد أن أكون طبيعية فحسب..

حسناً.. أعلم بأنني لست كذلك..

فقد لا أختار طريقة موتي لكني أريد أن تكون لي حرية الإختيار بتحديد مسار حياتي.

لا أعلم إن كنت تفهم ما أقول!...

لكني أعلم بأنك ستدرك ذلك مع الوقت.

ثم إنني لا أريد أن أفقد شعري!

ولا أريد أن أصبح هزيلة!!

لستُ أبالغ، لن ينظر لي أحد بعد الآن، وكأنهم يفعلون !!

حسناً كانت مجرد مزحة ..

أتعلم!

إني أتخيل ملاحك الآن وأنت تقرأ، أستطيع القول بأنك تبدو محيفاً وطاعناً في السن حين

تبدو غاضباً!

عليك أن تتخلص من ذلك حالاً ..

- أحاول أن أخفف من شدة غضبك فحسب ..

ولأني أعلم بأنك تهتم لأمرى ..

لكن أرجو أن تفهم قرارى .



## فكر ياب ..

لينك تعلم كم اشتقت لباريس!

اشتقت للأصدقاء كثيراً ولكل شيء فيما عدا "المستشفى" ! ..

التي أصبحت فيما بعد مكاناً مظلماً بالنسبة لي خاصة بعد وفاة "إيفا" !

أنت تعلم أنها شريكتي في الغرفة، وبأنها تعاني مما أعاني لكنها كانت في مرحلة متطورة

أكثر، وقد تكون احدي الأسباب التي جعلتني أرفض العلاج ..

فَعُقبَ العملية الجراحية الأخيرة أخبرتني بأنها نادمة على خضوعها للعلاج خاصة وبأنها

سُلتَقيَ حَقَّقها في النهاية، كانت سيِّدة لطيفة جداً ..

كانت تُخبرني بأشياء تُنسيني مرضي أحياناً، أنت تعلم بأنها كانت تعمل في الكشافة،

كانت تُخبرني عن رحلاتها "قبل معرفتها بالمرض"، عن الجبال والبلاد التي زارتها وعن

رحلاتها التي كانت تُصفي علي البهجة والسرور ..

كم قاسية هي الحياة ! ..

لأعلم لما ذكرني هذا الحديث بوالدي "رحمة الله" كان يعاني من الألزهايمر، كانت أمي  
تعني به جيداً، وكانت هي الأخرى تروي له الكثير من القصص عن شبابهما (عله  
يتذكر)، كنت أجلس أنا وأختي بجوارهما لنستمع لتلك القصص، فرغم الأم الذي كنتُ  
أشعر به، إلا أنني كنتُ أحب سماع تلك القصص عنهما وعن الأيام الخوالي ..

أتعلم يا ألبير !

رغم عدم قدرة أبي على فهم الأشياء، إلا أنه عندما كان ينظر إلى عيني أمي كنتُ أشعر  
بأنه لا زال يعرفها ويتذكرها، كان ينظر إليها وكأنه يشكر العمر الذي قصاه معها ..

لكن أمي كانت تتألم جداً، فقد عاشت فترة صعبة، فالألزهايمر يا ألبير مرضٌ بارد  
الأعصاب بعكس السرطان الذي يتسابق مع نفسه نحو الفناء ! .

ورغم ذلك فقد ماتا سوياً، لازلتُ أذكر ذلك اليوم، كان أبي برفقة أمي في الحديقة، كانت  
تأخذه إلى هناك بين الفينة والأخرى لتحدثه وتثامره، وكنتُ وأختي في المنزل عندما سمعنا  
دوي انفجار، ليصلنا خبر وفاتهما ..

لأعلم لما أذكر ذلك الآن، فانا أحاول أن أكون متفائلة هذه الأيام.

وبعد مرور ما يقارب الشهرين على وجودي في الدار وعقب وفاة السيدة "يرمين"، أصبح الحمل ثقيل على كاهلي، فأصبحت أتواجد في الدار أكثر، كما وازدادت جلساتي مع الأطفال ..

و ذات يوم طرقت أحدهم باب مكسي، وعندما أقبلت علمت بأنه "ضياء" (صديق الطفولة، سافر إلى ألمانيا خلال مرحلة الثانوية ليصبح الآن من أهم الموسيقين) ..

كما تقابل في كل مرة يأتي فيها إلى بيروت والطريقة الوحيدة ليجدني دائماً هي سارة، وقد علمت منه حينها بأنه سيحبي حفلة موسيقية في بيروت ويريد مني أن أحضرها، لا أعلم لما طلبت منه ذلك لكني سألته إن كان بإمكانني إحضار أطفال المينم معي، ووافق بكل رحابة صدر.

وعندما حان موعد الحفلة الموسيقية، ذهبتُ والأطفال إلى قاعة الحفلات الموسيقية حيث أمتعنا ضياء بعزفه على آلة الكمان، لكن ما لفت انتباهي حقيقة هو "تسيب"

طفلٌ معنا في الدار يُعاني من "التوحد"، كانت عيناؤه هائمتان في الكمان، كان ينظر إلى ضياء بكل شغف وكان سعيد جداً وبقي كذلك طيلة الساعتين، بعكس باقي الأطفال الذين سرعان ما شعروا بالملل .

وعندما انتهت الحفلة، ذهبتُ لأهني ضياء على عزفه الذي استمتع به جميع الحضور . .

وخلال ذلك أثار دهشتي نسيب، فقد كان يُمسك بالكمان الخاص بـضياء ويحاول العزف، حسناً قد يكون شيء طبيعي لطفل بعمر السبع سنوات يحاول تطبيق ما يراه، لكن الأمر مختلف مع نسيب فهو يرفض محادثة أحد كما إنه يرفض لمس الأشياء، لكنني ما أدركته حينها أن الطفل مولع بالموسيقى .

وما علمته من ضياء بأنه سيبقى في بيروت لمدة أسبوع لإحياء حفلة أخرى . .

وفي اليوم التالي كان الجميع يتأهب للإحتفال بعيد ميلاد نسيب، وكنتُ أفكر بهدية مناسبة له . .

وعندما عرفت ما يناسبه، ذهبتُ مباشرة إلى محل لبيع الآلات الموسيقية لأحضر له كمان . .

لا أعلم!.. لكن شيئاً ما بداخلي جعلني أشعر بأن هذه الهدية ستكون مناسبة تماماً . .

ولبتك رأيت وجهه والإبتسامة الخفية التي كانت تعنقه، كنت أشعر بسعادته حتى وإن لم يكن بمقدرته التعبير بشكلٍ كافٍ ..

أذكر بأنه ترك الحفلة وذهب إلى غرفته بصحبة مساعدتنا في الدار "المشرفة على تربته منذ الصغر" ليتأمل الكمان فحسب ..

لكن ما أثار غرابتي هو أنني وفي صباح اليوم التالي وعند وصولي إلى الميتم وأنا فرزي للأوراق الخاصة بالأطفال سمعت صوتاً مصدره الطابق العلوي، ذهبت لأرى ما الذي يحدث ! ..

ستسغرب مما أقول لكنني وجدت نسبي في غرفته يعرف على آلة الكمان، ولبتك سمعت الموسيقى، لقد كانت من أجمل ما سمعت في حياتي !

والأكبر غرابة هو أن لا أحد يعرف من علم ذلك الصبي العزف، وهو في الأساس لا يقابل أحد دون علم الدار، حتى أنني سألت المشرفة على تربته وقالت بأنها لا تعلم شيء عن الأمر ..

لا أعلم ! .. لكنني أعتقد بأن "التوحد" عالم مليء بالأسرار، ومرضى التوحد يمتازون بالذكاء أيضاً، قد يكون هذا السبب .. لا أعلم ..

كل ما أعرفه هو أن الصبي موهوب جداً . .

كان طيلة اليوم يعزف موسيقى رائعة كما إنه يمتاز بحس موسيقي عالي لا أعرف مصدره !

لذا قررت أن أعلم ضياء بالأمر، ولأني أعلم بأن نسيب موهبته خاصة جداً،

اتصلت بـ ضياء وطلبتُ مقابله، وتكلمنا بموضوع نسيب، في البداية رفض المساعدة باعتبارهُ مريض ولن يستطيع فعل شيء حيال ذلك الأمر، إلا أنني حاولت جاهدة إقناعه بذلك الطفل وموهبته، ونُحكِمُ صداقتي به أراد إعطائه فرصة وتجربته، ولأنهُ لم يصدق بأن طفل كـ نسيب يستطيع أن يتعلم العزف وحده دون معلم، طلبتُ مني إحضاره صباح اليوم التالي ومعه الكمان ليسمع بنفسه . . وهذا ما حدث . .

ففي صباح اليوم التالي أحضرتُ نسيب ومعنا المشرفة إلى منزل شقيقة ضياء وهو المكان الذي يقصده ضياء كلما زار لبنان . .

ورحب بنا ضياء، وطلب من نسيب أن يبدأ بالعزف، لكن نسيب لم يستجب منه بحكم أن ضياء شخص غريب، فطلبتُ من المشرفة أن تطلب منه ذلك، وعندما فعلتُ بدأ نسيب بالعزف . .

ليتك رأيت الدهشة التي أعلت وجه ضياء ذلك اليوم، في الحقيقة حينها بدأتُ أشعر بأن

هناك بصيص أمل . .

وعندما انتهى قال ضياء:

أيها الملاك الصغير . .

أنت لم تُخلق لتتوقف عن العزف، أريدُ أن أسمع إلى معزوفتك إلى أن ينام البشر!

ونظر إلي وقال:

كم أنت عظيمة يا ميساء!

لوانك لم تكشفي هذه النابغة لدُفنت موهبته معه! . .

ما أروعك يا ميساء لم تتغيري! . . لازلتِ تلك الإنسانة المحبة لفعل الخير . .

كنتُ سعيدة جداً لإيمانه بموهبة نسيب . .

حينها قال لي:

هذا الطفل يجب أن يذهب معي إلى ألمانيا، هناك ينتظره الكبير، وسأسعى إلى ذلك

بنفسي . .

حينها نظرت إلى المشرفة على الفور وقلت:

ستذهبن معه . .

نظرت إلى المشرفة بتعجب!

وعندما غادرنا، قالت المشرفة:

هل كنتِ جادة في كلامك حضرة المديرية؟

- نعم! . .

اسمعي يا نبال أعلم بأن موضوع السفر ليس بالشيء السهل، لكنني أعلم أيضاً بأنك  
تعيشين وحدك هنا، وأعلم بأنك تحبين نسيب جداً، ثم أن نسيب يستمع إلى ما تقولين  
له . .

إنه مستقبل نسيب يا نبال..

واسمعي لن أدعك تحتاجين شيئاً، وسأسعى لأبني جميع احتياجاتك . . أعدك  
بذلك . .

- لم تفعلين ذلك؟

- أفعل ماذا؟



- في البداية الهدية، ومن ثم إقناع السيد ضياء بنسيب، والآن تريد أن يذهب إلى ألمانيا . . لم كل ذلك؟

- لأنني لا أريد له أن يبقى هكذا، ولأن نسيب ليس مجرد طفل، سيكون يوماً من أهم الموسيقيين في العالم، ثم أنني لم أفعل شيئاً، نسيب طفل موهوب جداً واستحق كل هذا وأكثر . .

فسكنت المشرفة، ووعدتني بأنها ستفكر بالموضوع وستخبرني برأيها لاحقاً . .  
كنت أصلي لأن توافق . .

كل ما أردت قوله بأن علي نسيب أن يعيش كالبقية فهو شخص مميز جداً، لم أستطع أن أبقيه هكذا . .

وفي مساء اليوم التالي إتصلت بي نبال لتعلمني بموافقته . .

لن تصدق مدى سعادتي، فمستقبل الطفل سينجح، أعلم ذلك لأن ضياء لن يتركه . .

نسيب الآن في ألمانيا إلى جانب نبال وضياء، وما علمته من ضياء بأنه سينسبه إلى إحدى الفرق الموسيقية إلى أن يكون قادراً على امتلاك المسرح وحده . .

وجميعنا هنا نشاق إليه، لكئي على يقين بانني سأحضر إحدى حفلاته يوماً وأصفق له.

خالد الرافعي

لقد مر عام كامل! ..

أحاول أن أخبرك بتفاصيله كلما أتيت لي الفرصة بذلك ..

لازلتُ أذكر ذلك المقهى وذلك اليوم، أعلم بأنك سوف تتذكر ذلك وتضحك ..

حسنًا لقد كنتُ غاضبة من سارة في ذلك اليوم، فقد وعدتني بأنها ستأتي على الموعد

وتستمع لشكواي، لكنها اتصلت لتعذر، لم أعد منها على ذلك، لذلك كنتُ

غاضبة! ..

كنتُ كالغيبية وأنا أشرب القهوة إلى أن أحرقتُ فمي، ومن حماقتي وبخت ذلك النادل لأنه

أحضر القهوة ساخنة، وهل كنتُ أنتظر أن يحضر لي الثلجات بدل منها؟! ..

ولو أنك لم تتواجد في ذلك المقهى لفقد ذلك النادل المسكين وظيفته ..

أذكر بأنك طلبت منه أن يحضر فنجان آخر لكي تنهي المشكلة،

كنت تحاول تهدتي في ذلك اليوم . .

وأذكر بأنك قلت لي:

أفهم غضبك . . فانا مثلك عندما أغضب أؤذي نفسي وأرمي بخطائي على الآخرين!

(حسناً . . لم تكن كذلك يوماً! . .)

فقد وبحتك أيضاً وطلبت منك العودة إلى طاولتك . .

رباه . . كم كنت مجنونة آنذاك!!

حسناً كنت في شبابي هكذا، متهورة جداً وأغضب لأنفه الأسباب . .

ومن تهوري أذكر باني أوقعت النادل أرضاً دون قصد، أعلم بأنك لا تصدقني الآن!

لكني أقسم على ذلك! . .

ولو أنك لم تدخل في اللحظة المناسبة لحفظت باريس وجهي، ولضحك الفرنسيون عليّ

عدة قرون!

لكني اعتذرت على تصرفي الوقح وشرحت لك السبب . .

وأيضاً كادت أن تصدمني سيطرة على باب المقهى لو أنك لم تنقذني ..

كان يوماً مشنوماً !!

لكمك على ما يبدو وكنت تتكرر على ذلك المقهى لأني وعقب اعتذاري من النادل

أصبحت أذهب إلى هناك دائماً فقد كانت إطلالته جميلة ..

وها نحن اليوم أصدقاء !

لظالما وقفت إلى جانبي، حتى أثناء مرضي كنت أنت من يشرف على علاجي ..

عشرون عاماً ولم تتركني لحظة !

ليتني أستطيع رد الجميل لك، فما فعلته لأجلي طيلة هذه السنين جعلني أخجل منك حتى

وإن كنت صديقي ..

أنت صديق حقيقي يا ألبير !

حسناً .. أعلم بأنني سببت لك المتاعب طوال هذه السنين لكمك تعلم بأنني أحببك

جداً ..

أتذكر توبيخي للممرضة ؟ !

"جاكلين" !! رحمها الله ..

كانت تحاول أن تكون مثالية معي ..

كانت تبسم وتقول :

سوف تشفين قريباً ..

كنت أعلم بأنها تكذب !

لعلها كانت لطيفة ومحبة ..

لكنك لا تستطيع أن تنكري أنني كنت السبب بتسوية حياتكما ، ولولا لي لما تزوجتها وأنجبتما

"جان" ..

لقد كنت فظة بتعاملي معها في البداية ، إلا أنني سرعان ما أحببتها ..

أعلم بأن موضوعها حساس بالنسبة لك ، وبأنك لا تحب أن تذكرها كثيراً لأنك لن تستطيع

إخفاء دموعك ، لكن عليك ذلك يا البير !

أعلم بأنك أحببتها كثيراً ، لكن عليك التعبير عما في داخلك بين الفينة والأخرى ! ..

لقد قالت لي يوماً :

إن البير هو أعظم إنسان قابله، هو ليس مجرد زوج بل إنه أكثر من ذلك بكثير..

لا أعتقد بأنها أخبرتك بذلك!

فانت رجل وقد تمرّد!!

لقد كانت تحبك جداً يا البير..

أنت صديقي ومن واجبي أن أجعلك تخرج ما في قلبك، لا أعلم كيف تشعر الآن، لكنني

أستطيع تخيل الدموع وهي تذرف من عينيك!

ولن أعتذر عن ذلك، فقد آن لك أن تُخرج تلك الدموع لكي ترتاح.

كان يوم الإثنين الـ ٤ من ديسمبر حين تلقيتُ اتصالاً ..

كان هلال يبكي ويقول:

أمي .. لقد ماتت يا خالة !

عندها وقعت مني سماعة الهاتف، لم أستطع استيعاب الأمر، ذهبتُ إلى بيت سارة على الفور، لكنني لم أجد أحداً، اتصلتُ بهلال لأسأله عن مكان أمه، فما كان جوابه إلا:

أمي لم تعد موجودة يا خالة !

- أين أنت الآن ؟

- في المستشفى ..

- أية مستشفى ؟! مالذي تقوله ؟!

- لقد تعرضت أمي قبل وفاتها لنوبة قلبية حادة .. هذا ما قاله الأطباء ..



- أخبر أمك بأنني أنتظرها في المنزل، لا تأخرا !

عندها فقط شعرتُ بأنني احتضر، شعرتُ بأن ما يقوله هلال صحيح، فلا أحد يكذب

بهذه الأمور . . .

لكن كيف ؟ !

كما قد تناولنا فطورنا سوية، كيف لها هذا ؟ !

أذكرُ بأنني جلستُ على الدرج منتظرة أن أراها في أي لحظة . . .

بقيت هكذا إلى أن حلّ المساء، لم أشعر بالوقت ! . . . عندها سمعت صوت هلال:

- خالة ميساء !

- هلال ؟

- لم تجلسين هنا ؟

- أين أمك ؟

- تعالي لندخل فالجو باردٌ هنا !

وعندها أمسكتُ بهلال بقوة وسألته:

أين والدتك يا هلال؟!

- لقد سبق وأخبرتك يا خالة.. أمي توقيت صباح اليوم.. وأخذ بيكي!

- لكن كيف؟ لقد تناولنا فطورنا سوية وكانت حالتها ممتازة، وصرخت:

مالذي حدث لها؟!..

أذكر بأننا بقينا طيلة الليل نبيكي، ومن ثم خرج هلال عن صمته ليقول:

سنكون مراسم الدفن غداً عند الساعة الثالثة..

عندما قال ذلك أيقنت برحيل سارة الأبدي..

لقد رحل كل من أحب يا ألبير!

لم يتبق لي أحد!

إن الحياة قاسية جداً، فقد كان علي أن أموت قبلها!

فأنا المريضة وليست هي!

إن سارة لم تكن مجرد صديقة، لقد كانت أختي وأمي وصديقتي وكل شيء!

وهاهي الآن تمام في قبرها بسلام . .

سأفقد ما كثيرا .

تقد حصل الكثير في هذا العام ..

لكني أخفيت عنك أمراً!

حسناً، لا جدوى من ذلك الآن ..

كان يوم الإثنين الـ ١١ من ديسمبر عندما فقدت قدرتي على رؤية الأشياء، جل ما كنتُ

أراه هو ضبابٌ يغطي كل الأشياء! ..

أذكر بأنني وفي ذلك اليوم قمتُ بالإنصال بهلال والدموع تذرّف من عيني:

هلال!!

أعتقد بأنني غميت!!

أذكر بأن هلال توقف عن الكلام، وتابعت:

لم أعد أرى شيئاً!

وحين أفاق من الصدمة قال:

إهدني يا خالة وأخبريني بما تشعرين!

- عيناى تولىانى جدا!

- حسنا! إهدنى فانا فى طريقى إليك..

وعندما وصل أخذنى إلى المستشفى بسرعة، وهناك قال الأطباء:

إنها "الجلاكوما"!

وحاول هلال أن يتفرد بالطبيب، لكنى سرعان ما سألت الطبيب عن حالتى:

أيتها الطبيب!

أريد أن أعرف..

أرجو أن تخبرنى بالحقيقة، فانا على دراية بمرضى كته وأعرف النتائج مسبقاً..

فأرجوك!.. أخبرنى..

- يبدو أن الورم أصاب "الجسم الهدبى" مما أذى إلى (الجلاكوما) وارتفاع ضغط العين،

وقد يُصاب العصب البصرى بالضرر إن لم تدخل..

- مالذي تقصده؟! ..

- علينا القيام بعملية جراحية لك على الفور!

- هل تقصد بأني عميت؟! ..

- ليس بالمعنى الحرفي، لكن إن لم تخضعي لهذه العملية فلا أحد يضمن لك النتائج ..

- ما نسبة نجاح هذه العملية؟! ..

- لن أكذب عليك .. فالسرطان وصل إلى مرحلة متطورة جداً ويبدو أنك لم تخضعي

للعلاج! ..

- أرجو أن تخبرني بنسبة نجاح هذه العملية؟! ..

- ٢٠%

كان هلال في الغرفة صامتاً، كمت أشعر به!

قلت:

لم أتوقع أن أصل إلى هذه المرحلة!!

لم أتوقع أن السرطان سيفقدني بصري أيضاً ..

كمت أظن بأنه سيترك لي أعواماً قليلة أعيشها ومن ثم سيقتضي علي! ..

لكمه السرطان !!

يمكر كالثعلب ويخدعك .. وفي أوج سعادتك ينقض عليك ليفترسك !

حينها سألني هلال :

هل ستخضعين لتلك العملية ؟

- لم يبق لي خيار !

- أنا متأكد بأنك ستكونين أفضل ..

- أرجوك يا هلال ! .. أريد أن أخرج من هنا حالاً ..

- حسناً .. سأذهب لأسأل الطبيب عن موعد العملية وأعود ..

وعندما عاد أخبرني بأن موعد العملية هو يوم الأربعاء أي بعد يومين ..

وفي ذلك اليوم طلبت من هلال أن يعيدني إلى المنزل، لن أكذب عليك كمتُ على وشك

الإتصال بك وإخبارك بالأمر، لكنني لم أنجراً، فانا من رفضتُ العلاج بنفسني ..

نعم ! لقد فعلت .. لأنني لم أومن يوماً بشفائي منه ..

ولم أتصل ! ..

شعرتُ بأنني وحيدة جداً، لكن كان عليّ تحمّل مسؤولية قراري ..

أنا لم أندم البتّة! على العكس فما زال قراري واضحاً ..

وأما بالنسبة للعملية فكنتُ أريد الإحضاع لها لكي أتمكن من الرؤية كالسابق ..

وفي يوم الأربعاء ١٣ من ديسمبر خضعتُ لتلك العملية ..

وها أنا الآن! .. عمياء! ..

لم تنجح العملية!!

لم يكذب عليّ الطبيب حين أخبرني بنسبة نجاحها ..

وهذا ما حصل!

لكن لا تقلق، فهلال لم يتركني لحظة وهو الآن عيني التي أرى بهما ..

وعقب ذلك اضطررت لأن أتوك الدار وأكفي زيارات أسبوعية لأرى الأطفال ..

ولذلك طلبتُ من العم توفيق أن يأخذ مكاني، هو مساعدتي في الدار منذ أن اضطرتُ

بنال لترك الدار والسفر مع نسيب، لذلك هو رجل أثق به وأستطيع أن أسلمه الدار بكل

أمانة.



بعد ذلك اضطررت لأن الأزم المنزل ..

ولن أكذب عليك شعرتُ بمثل قاتل، بالإضافة للصعوبة التي جابهتني بعدما فقدتُ قدرتي على رؤية الأشياء، فاحتجتُ لمدة طويلة للتأقلم مع وضعي، حتى أنني اضطررت لشراء عكاز أيضاً ..

لذلك الوضع لم يكن سهلاً إطلاقاً ..

حسنًا .. ما حدث بعد ذلك هو أن هلال كان مضطرب لبيع منزلهم الصيفي في الضاحية وعندما سألتُه عن السبب أجاب:

لم أستطع أن أحضر الامتحان لأنه تزامن مع وفاة والدتي، ولم يستنى لي الذهاب لإخبارهم بذلك حتى يحددوا لي الموعد، وفي هذه الجامعة الأقساط كبيرة جداً لذلك علي إعادة هذا الفصل ودفع المبلغ المطلوب ..

عندها عرضتُ عليه المساعدة، لكن هلال عبيدٌ جداً ..

لذلك رفض ذلك !

ومع أنني بمثابة والدته، إلا إنه لم يقبل مني أية مساعدة مادية !

لذا قررت أن أقدم له عرض يُرضي الطرفين . . .

وفي اليوم التالي اتصلتُ به هلال :

هلال . . هل لك أن تأتي لزيارتي ؟ !، أريد أن أحادثك بأمر مهم ! . . .

وبالفعل . . فعندما طرقتُ الباب، طلبتُ منه الجلوس . . .

وأخذتُ أكلمه:

هلال . . أعلم بأنك لن تقبل مني أي مساعدة ولا أعلم السبب، ولا أنكر بأن ذلك

أزعجني، فأنت بمثابة ابن لي . . حينها قاطعني وقال:

أنتِ كذلك يا خالة !

ولم أرفض لهذا السبب، لكنني سأشعر براحة أكثر إن قمتُ ببيع المنزل، هذا عدا

المصاريف التي سأحتاجها، فأنا بحاجة لمبلغ كبير وعلني ببيع المنزل . . .

- حسناً . . لذلك طلبتُ منك المحي . . .

أريد أن أقدم لك عرضاً ..

ما رأيك بأن أشتري منك ذلك المنزل؟!

- ماذا؟ ..

أنت واثقة من ذلك؟

- كل الثقة!

- حسناً .. لكن مالذي ستفعلينه أنت بذلك المنزل؟ ..

- ذلك المنزل ياهلال تملؤه الذكريات ..

هل نسيت؟!

- بالطبع لم أفعل ..

- الذكريات لا تباع ياهلال!

- لو لم أكن مضطراً لما فعلت وأنت أدري بي ..

- أعلم .. لذلك قررت شرائه .. فهل تبيعني؟!

- تستطيع أخذه دون مقابل إن أردتي ..

- كلاً . . اعتبرني شخص غريب، ومن اليوم سنبدأ بمعاملة البيع إن أردت!

- بالتأكيد . .

وهذا ما حصل، فلقد اشتريتُ ذلك المنزل منذُ حوالي أربعة أشهر، وفي كل عطلة

ياخذني هلال إلى هناك، نسترجع فيه أجمل الذكريات وكان سارة معنا . .

وبعد حوالي شهر بدأتُ أشعر بميل قاتل، وكنتُ قد أخبرتُ هلال بذلك . .

وذاًت يومٍ وعند عودته من الجامعة كان سعيداً جداً، قال لي:

خالة!

- نبرة صوتك تخبرني بأنك سعيد، مالذي حصل؟ أخبرني هيا . .

- كنتُ قد أخبرتني حول شعورك بالضجر بالفترة الأخيرة، أليس كذلك؟

- نعم!

- حسناً . . لدي فكرة جميلة لك؟

- ماهي؟

- لقد كنتُ اليوم جالس مع أحد الأصدقاء، وإذ به يكلمني عن بيعه لإحدى محلات

- حسناً؟! -

- أقصد بأنك إن اشترته قد تؤسسين العمل الخاص بك ..

- هلال! .. مالذي تقوله؟! أنت تعرف وضعي جيداً ..

- أرجوك يا خالة، لا تدعي ذلك يؤثر على حياتك ..

ثم أني سأكون دوماً بجانبك ..

- هلال .. أنت تعلم سبب تركي للدار ..

- يا خالة الدار شيء وما أتكلم عنه شيء آخر!

- كيف؟

- اسمعي يا خالة، الدار بحاجة لعناية والأطفال كذلك، لكن هنا تستطيعين تحديد

العمل الخاص بك، ثم أنك تستطيعين توظيف أشخاص يساعدونك بذلك ..

- في بيع الملابس؟

- ليس بالضرورة! .. لقد أخبرني بأنه سيفرغ محتويات الحبل قريباً، وأنا أعرف ذلك

الحبل جيداً، مكوّن من طابقين .. تستطيعين فعل به ما أردتي! ..

- مكتبة ..

- ماذا؟! -

- سأحوّله إلى مكتبة ..
- بالطبع تستطيعين ذلك ..
- لكن ماذا لو أخفقت؟! ..
- لن تفعلين ..

ثم أنني سأفعل ما بوسعي لجعلها مكتبة مثالية ..

وهذا ما حدث .. فقد اشتريتُ ذلك الحُلَّ (أنت تعلم بأنّ الديننا تركنا لنا مبلغ من المال بالإضافة إلى الممتلكات) فقد أخذ كل مني ومن أخي نصيبه من ذلك ..

حسناً دعني أصف لك المكتبة الآن ..

هناك في الطابق العلوي: قسم لشراء الكتب واستعارتها، بالإضافة إلى قرطاسية كاملة ..

أما الطابق السفلي فهو مخصص للقراءة فقط ..

نسيتُ أن أخبرك أمراً! لقد سميتُ المكتبة "سارة" تخليداً لاسمها ..

وأحمد الله فإن روادها كثيرون ..

ذلك أفادني كثيرًا . . . فعندُ عملي في المكتبة وأنا لا أشعر بالوقت، وفي كل أسبوع وفي

العطلات أزور الدار والأطفال . . .

لذلك قررتُ اليوم أن أزورهم، وسعادتي لا توصف !

خلود الرفاعي

حنين..

تستدعي ذاكرتي في هذه الأيام وشكل كبير ذكريات طفولتي الأولى، ولا أعلم السبب !

فلازلت أذكر طفولتي بتفاصيلها وكأنها حدثت البارحة..

أتعلم يا أثير !

كم أتمنى لو بقيت طفلة، أركضُ حول نافورة المياه وألعب وأضحك والأهم من ذلك كله

"أرى" !

لازلت تلك الذكريات غائرة في ذاتي !

بيننا، عائلتي، أصدقائي، الجيران، المدرسة..

فنحن لانستطيع أن ننسى طفولتنا ونشأتنا، ودائماً ما ترتبط السعادة بالماضي..

أتعلم !



كنتُ أنا وأختي دائماً ما تشاجر على أبسط الأمور . .

أذكر بأنها قامت ياخفاء كراسه العلوم الخاصة بي ، كنتُ أحضر نفسي للإمتحان آنذاك ،  
وعندما لم أجده جلستُ في الغرفة وبكيت ، يومها ناولتني الكراسه وهي تبكي متأسفة !

لكنتي غضبتُ منها جداً لذلك قمتُ بتخبئة اللعبة الخاصة بها . .

إنها الطفولة ! . .

لقد تركتُ فراغ كبير في غيابها ! . .

أذكر بأننا تشاجرنا قبل سفرها ، ولا أذكر السبب ! . .

لكننا بقينا على إتصال ، وكيف لنا ألا نفعل ؟ !

وعقب سفرها قررتُ الذهاب أنا وسارة في عطلة إلى باريس ، وحينئذ قررتُ الإستقرار

هناك ! . .

أما بالنسبة لمنزلنا فقد قمنا ببيعه بناءً على طلب مني حيثُ كانت تريد أن تفتح العيادة

الخاصة بها في كندا ، لذلك كما مضطرون ! . .

وأما أبي فقد كان حنوناً جداً علينا، كان دائماً ما يقف إلى جانبنا عندما كانت أمي

توبخنا، في الحقيقة كنا نستحق التوبيخ فقد كانت دائماً ما ترتفع أصواتنا!

لكنها كانت حنونة جداً.. فلا أستطيع نسيان وقوفها إلى جانب أبي حتى آخر يوم في

حياتهما..

كانت تحدثني دائماً عن طفولتي، كانت تقول:

لطالما كنت هادئة، وذكية، لقد كنت طيبة جداً في طفولتك حتى أنك كنت تعطين

طعامك لأطفال الجيران، وعندما كنت أسألك عن ذلك، كنت تقولين "لقد كانوا

جانحين"!!

وعندما تخرجت من المدرسة، قالت:

أنا فخورة بك، وسأفعل دائماً..

كم تمنيت لو أنها كانت موحودة في يوم تخرجي من الجامعة!

كانت تقول لي ذات الكلام..

أأخبرك سر؟!

دائمًا ما تمنيت لو أن والدي كانا معي في مرضي، فلطالما شعرت بالوحدة لغيابهما عني

خاصة عقب سفر مني . . .

فالعائلة شيء لا يعوض يا أبير!

لقد كنا نجلس سوياً على الطاولة، وتحدث عن يومنا وتفاصيله . . .

لطالما كما كذلك . . .

لقد حرمني المرض من كل شيء! . . . حتى من العائلة! . . .

أنت تعلم قصة "زوجيه" . . .

كان يعمل معي في شركة الاتصالات في باريس، فمتذ أن أصابني ذلك المرض وهو محتفي

تماماً!

ربما قد هرب، أو ربما كان محرج لإخباري بعدم قدرته على الزواج من مريضة مثلي!

لا فرق، فالنتيجة واحدة! . . .

و"جميل" الذي تركني عقب وفاة والدي وسافر إلى إنجلترا للحصول على فرصة للعمل

هناك . . .

وبعد ذلك تركني المرض أسيرة له، وأنت تعلم الباقي . .

لكني رغم ذلك، أشعر بأن الله أرسل لي هلال الذي لا يفارقني أبداً فهو بمثابة ابن لي،

وحسب لو أنجبت أطفلاً، لما أحببتهم بهذا الشكل! . .

نسيت أن أخبرك أمراً!

لقد اتصلت بنبال اليوم وقالت لي بأن نسيب سيقيم حفلة موسيقية في بيروت الأسبوع

المقبل . .

إني مشوقة جداً لحضورها . .

لم لآتني أنت أيضاً لزيارتي هنا؟!

ليتك تفعل . .

لقد اشتقت إليك كثيراً، أرجو أن تفكر ملياً بالأمر . .

سأحرص على أن أريك جمال لبنان وسحره . .

سنزور "متحف بيروت الوطني"، الكورنيش وصخرة الروشة . .

وربما سأجعلك تعرف على "مغارة جعينا" حيثُ تبعد حوالي ٢٠ كم عن بيروت ..

..

والآن أعتقد بأنني أخبرتك بكل تفاصيل هذا العام، وأعتقد بأنني أنهكتُ هلال بالكتابة

أيضاً! ..

حاول أن تأتي لزيارتي قريباً .. سأكون سعيدة جداً بذلك ..

صديقك المحبة: ميساء .

## الرسالة الثانية . .

عندها شعر ألبير براحة، لكنه كان حزين في ذات الوقت ! . .

فرغم معرفته بكل التفاصيل إلا أنه كان قلق على ميساء وتدهور صحتها، لكنه حاول أن يتقبل قرارها . .

فأخذ يكمل قهوته، وهو يفكر برسالة ميساء . .

وقرر أن يزورها في الإجازة.

عندها تذكر وجود ظرف آخر قد سبق ووضعه على الطاولة . .

ووجد أن الرسالة من هلال يقول فيها:

"إلى السيد ألبير . .

أرى بأنك تعرفني الآن وخاصة بعد أن أخبرتك الحالة ميساء عني في رسالتها . .

لذلك يؤسفني إخبارك بموت العزيزة على قلوبنا جميعاً "السيدة ميساء" وذلك جراء

إصابتها بنوبة قلبية الأسبوع الماضي، ولم يكن لمرضها علاقة بذلك . .

وكانت قد تركت وصية قبل وفاتها، وأعلم جيداً بأنك شخص مقرب لها، لذلك

أرسلتُ لك نسخة منها . .

أحر تعازي لك . ."

حلوود الرفاعي

# الوصية..

"لا بد لي الآن بأني غائبة عنكم ..

وقرائتكم وصيتي ستفهمون رغباتي، وتنفيذكم لها سترقد روعي بسلام ..

لذا :

- أود أن أعطي منزلي لأختي "منى" ..

ووصيتي لها بأن تحافظ عليه وعلى ذكريات العائلة ..

- وأما بالنسبة لبيت الضاحية فهو لهلال ..

- وباقي ممتلكاتي فهي ستعود للدار والأطفال ..

- كما أربح بأن تبرعوا بأعضائي السليمة لمتاجيرها ..



وبذلك . . أكون قد فعلت ما يجب فعله وضميري مُرتاح . .

وتذكروا بأنني سابقى دائما هنا . .

أحبكم جميعا . . "

خلود الراقصي



